عيادات العلاج بالقرآن الكريم
(منهج مقترح)

أ.د. طارق بن علي الحبيب
بروفسور واستشاري الطب النفسي بكلية الطب
جامعة الملك سعود بالرياض ومستشار الهيئة
العامة للخدمات الصحية لإمارة أبو ظبي.

اختلف الناس في شأن فكرة إنشاء عيادات للعلاج بالقرآن تكون تحت إشراف لجنة من العلماء الذين يقومون بمنح التصاريح للرقاة ومتابعتهم وتوجيههم.

يقول الشيخ علي بن نفيع العلياني: ينادي بعض المصلحين بإنشاء عيادات قرآنية وتفرغ البعض لرقية الناس ونفعهم من خلال ذلك. وفي الحقيقة أن هذه الكيفية في نظري قد يترتب عليها مفاسد كثيرة بالنسبة للقارىء والمقروء عليه على حد سواء. ومن تلك المفاسد على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أولاً: أن اجتماع عدد كبير من الناس عند قارىء معين قد يجعل عوام الناس يعتقدون بأن لذلك القارىء خصوصية معينة مما يؤدي إلى طغيان أهميته ومكانته عندهم على أهمية كلام الله، بل لا يكاد يفكر كثير من الناس في أهمية المقروء وفائدته، وإنما تتجه أنظارهم فقط إلى شخص القارىء. والأصل في الرقية هو المقروء، والقارىء تبع لذلك ولا ينكر ما لصلاح القارىء وقوة إيمانه وثقته بربه وتوكله عليه من تأثير، ولكنه تابع للمؤثر

الأصلي وهو كلام رب العالمين. ولذلك فإن أي ذريعة تضعف ثقة الناس بالمقروء (القرآن) فإنه ينبغي أن تسد.

ثانياً: أنه بالنظر إلى سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه وسيرة علماء الإسلام الموثوق بعلمهم وفضلهم لم نر أحداً منهم انقطع عن أعماله وقصر نفسه على معالجة المرضى بالرقى واتخذها حرفة واشتهر بها بين الناس بحيث إذا ذكر اسمه اقترن بهذه الحرفة. ولا شك أن الناس في كل زمان تكثر فيهم الأمراض ولم نر أحداً من خلفاء المسلمين نصب نفسه قارئاً يقرأ على المرضى كما ينصب المفتين والقضاة، وإنما المريض يقرأ على نفسه من كتاب الله وإن فقابله عالم ذو فضل وديانة وطلب منه الرقية وقرأ عليه فلا حرج، ومن المعلوم أن المشروع بأصله قد يمنع إذا صاحبته كيفية مستحدثة ولو كان الانقطاع لمعالجة المرضى بالرقى واتخاذها حرفة والاشتهار بها بين الناس خيراً لسبقنا إليه الأوائل.

ثالثاً: أن الشياطين عندما ترى تعلق الناس بشخص ما قد تساعده وهو لا يشعر فتعلن خوفها منه وخروجها من المريض ونحو ذلك لتزداد ثقة الناس بالشخص أكثر من ثقتهم بما يتلوه وليعتقدوا أن فيه سراً معيناً.

رابعاً: قد يصاب بعض الرقاة بالعجب بسبب ازدحام الناس على بابه وكثرة من يعافيهم الله برقيته، فيتوهم أنه من الأولياء البررة، وقد كان السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ يخشون هذا الأمر ويسدون مداخله. وليس حال القارىء المتقدم صفته كالطبيب الذي يزدحم الناس على بابه لأن الطبيب يعالج بعلاج معروف ولا يشعر أن العلاج لا ينفع إلا إذا وصفه هو بل يعتقد أن الأمر مرتبط بالعلاج لا بشخصه بخلاف الراقي إلا من رحم الله.

خامساً: نظراً لما تدره تلك الكيفية السابقة على أصحابها من أموال طائلة قد يتظاهر بعض المشعوذين والدجالين بالقراءة فيفتحون دكاكين لهذا الغرض ويخلطون الحق بالباطل، فينفتح بذلك على الناس باب شر كبير، ولا يحصل إنكار المشعوذين لاختلاط أمرهم بالقراء الذين لا يخلطون مع قراءتهم شعوذة وكهانة فيصعب التمييز. ومن المعلوم أنه يجب سد الذرائع

المفضية إلى الشر وإن كان قصد صاحبها البحث عن الحق. ومن هذا الباب فقد منع عبدالله بن مسعود وأصحابه، وجمع من العلماء المحققين تعلق القرآن سداً للذرائع، لئلا يفضي ذلك إلى تعلق التمائم.

سادساً: لقد اشتهر بعض الصحابة بإجابة الدعاء كسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنَّة وهو أحد الذين دعا لهم الرسول ﷺ باستجابة الدعاء، كما اشتهر بذلك بعض التابعين كأويس القرني رضي الله عنه ومع هذا لم يؤثر أن المسلمين تزاحموا على أبوابهم أفواجاً إثر أفواج لطلب الدعاء رغم حاجة المسلمين إلى إجابة دعائهم في صلاح دينهم ودنياهم، مع أنه من المعلوم بأنه ليس هناك مانع شرعي من أن يأتي الفرد المسلم ويطلب الدعاء من أحدهم مثلما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أويس القرني، بل إن الرسول ﷺ قد أرشده لذلك. ورغم ذلك كله فإن عمر بن الخطاب لا شك بأنه لو رأى أهل المدينة اجتمعوا على أويس لطلب الدعاء، وقدم كذلك أهل مكة وأهل العراق أو غيرهم لهذا الغرض لمنعهم من ذلك مع فعله له، وذلك خشية على الناس من الفتنة وخشية على أويس القرني من الفتنة أيضاً.

سابعاً: أن انتشار هذه الظواهر قد يوهم عوام الناس ومن لا علم عنده بأن هذه الكيفية هي الطريقة الصحيحة للرقية، فيظل الناس يطلبون الرقية من غيرهم وتتعطل سنة رقية الأفراد لأنفسهم، وانطراحهم بين يدي رب السماوات والأرض وسؤاله الشفاء[1].

وفي المقابل هناك فريق آخر يرى أنه لا يوجد ما منع من إنشاء عيادات قرآنية. يقول الشيخ عبدالمحسن العبيكان: إن هناك من القراء من

---

(١) الرقى على ضوء أهل السنة، علي نفيع العلياني، ص٦٧ ـ ٨٩ بتصرف ولم يكن هناك من السلف الصالح من اتخذ هذا العمل حرفة وعرف به، وإنما إذا احتاج أحد رقاه إما في بيته أو في المسجد أو في السوق، من غير أن يكون هناك تنظيم معين، مع أنه لا يمنع أن يكون هناك تنظيم أو يكون هناك أناس يتفرغون لا أرى في ذلك مانعاً ولكن لا بد من الضوابط الشرعية، وأن يكون عليه.

يعمل أعمالاً مخالفة لعملية الرقية ولا يتقيد بالضوابط الشرعية، ويستغل حاجة الناس مما أساء إلى سمعة المعالجين.

رقابة حتى لا تستغل حاجة الناس، وأن يكون عند القارىء الدراية والمعرفة، لأنه قد يستعمل وسائل غير صحيحة ومضرة، وليست شرعية[١].

وبعد كل ما ذكرت، ولجعل الأمر أكثر وضوحاً سنحاول أن نحصر سلبيات وإيجابيات إنشاء مثل تلك العيادات حتى نستطيع أن نصل إلى تصور عملي.

الإيجابيات:

١) منع أهل السحر والدجل والشعوذة من رقية الناس.

٢) تعليم قليلي الحظ من العلم الشرعي من الرقاة.

٣) توجيه الرقاة إلى منهج النبي ﷺ في الرقية.

٤) أن هذه العيادات المتخصصة ستكون مكاناً مناسباً لإجراء بعض الدراسات الطبية الشرعية التي يتعاون فيها العلماء والأطباء.

٥) أن هذه العيادات المتخصصة وما ينتج عنها من دراسات علمية مقننة بمنهج البحث العلمي المؤطر بضوابط الشرع قد تكون نواة لفتح كبير في الطب الإسلامي.

٦) أن إنشاء مثل هذه العيادات سيعطي تقييماً واضحاً نوعاً ما عن مدى وطبيعة أثر الرقية ونفعها لأي نوع من الأمراض، وغير ذلك من الأمور التي لم تدرس بمنهجية متكاملة عبر تاريخ الأمة الإسلامية.

٧) أنه يمكن من خلال هذه العيادات حفظ أموال الناس وصون أعراضهم من أن يتلاعب بها بعض الجهال.

٨) أن منع إنشاء مثل هذه العيادات سيجعل الناس ـ كما هي العادة

---

(١) مجلة الدعوة ١٤١٧/٩/٧هـ.

في الحرص على كل ما هو ممنوع ـ أن يطلبوا العلاج بخفية عند من لا يُعلم علمه من جهله ولا صدقه من كذبه فضلاً عن أنه ربما يكون من السحرة أو المشعوذين أو القساوسة الذين يعالجون المسلم بتعليق الصليب على رأسه فيعود وقد خسر الدنيا والآخرة.

٩) أنها تمثل مجالاً خصباً للدعاة إلى الله في توجيه الناس وإرشادهم وتوضيح أثر الرقية ودور العراقي وربط الناس بالله، وأن الراقي لا يؤثر بنفسه وإنما بالقرآن. كما يعلمونهم كيف يرقون أنفسهم ويرقون ذويهم مما يساعد مع مرور الزمن على اتزان نظرة الناس وإدراكهم بوضوح لهذا الأمر.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك الكثير من الإيجابيات مما لا يتسع المجال لحصره.

السلبيات:

١) الأمر معروف عند سلف الأمة، لكن لم يتم تنظيمه في عيادات أو على نحو آخر.

٢) قد يتعلق الناس بالراقي أكثر من الرقية، وفي هذا خطر على عقيدة المسلم وفتنة الراقي في آن واحد، لكن هذا الخطر لا يقع ـ بإذن الله ـ إذا تم تطبيق منهج العلاج المقترح أدناه.

ولقد نظرت في هذا الأمر وتأملته واستقرأت القرآن والسنة وراجعت كلام السلف، وحاورت العديد من العلماء، وأرى أنه يمكن عمل ما يلي:

١) الاتفاق على البعد عن أي خطوة تسعى إلى تصنيف العلل الروحية إلى سحر وجان وعين، لأن ذلك لا يمكن القطع به وقد سحر سيد الخلق محمد ﷺ ولم يعلم أنه مسحور إلا حينما جاءه الخبر من عند ربه، فكيف يعلم غيره من البشر، إضافة إلى ذلك قد يؤدي إلى حدوث أثر نفسي بالغ يعتري المريض حينما يبلغه أنه مصاب بشيء من تلك الأمور الغيبية. وتزداد عدم فائدة ذلك إذا علمنا أن علاج كل تلك الأمور الغيبية ـ إلا في أحيان نادرة ـ هو بالقرآن فما الفائدة إذا من التشخيص.

٢) لأي خطوة من وزارة الصحة في هذا الجانب يجب أن تقوم السلطات الشرعية مثل: وزارة الشؤون الإسلامية تقنين العلاج بالقرآن ونبذ ما اعتراه من اجتهادات بعض المعالجين بالقرآن وتقديم المنهج النبوي في ذلك.

٣) يلي ذلك إنشاء لجنة مشتركة من الوزارتين ممن لهم باع علمي واهتمام شخصي في هذا الأمر، يكون دورها تقديم منهج علاجي يشمل العلاج بالقرآن وكذلك أقصى ما توصل إليه الطب الحديث.

وأرجو أن لا يقتصر دور هذه اللجنة على التوصية بضرورة اعتبار القرآن في العلاج، فهذا أمر معروف ولكن يجب عليهم تقديم آلية ذلك على أرض الواقع ومتابعة تنفيذه ومراجعته بشكل دوري وحل أي عوائق تعترض تطبيق شيء منه كما يجب أن لا يقتصر دورهم على معاقبة ومنع الرقاة كما هو حاصل هذه الأيام وإنما الإرشاد والتوجيه أيضاً.

٤) يتم إنشاء معاهد للمعالجين بالقرآن يتلقون فيها أصول العلاج بالقرآن وضوابطه وكذلك توعية جيدة بالأمراض العضوية والنفسية (أعراض الأمراض دون وسائل العلاج حتى لا يساء استخدام هذه التوعية) وكذلك تدريباً على منهج العلاج التكاملي مع مختلف التخصصات وكيف يكون عضواً فاعلاً في الفريق الطبي. وتكون الدراسة نظرية وعملية يشترك العلماء والمتخصصون في وضع خططها الدراسية ومتابعتها ومنح الشهادات التي تؤهل الخريج للعمل في المستشفيات حيث يستلزم ذلك إنشاء مسميات وظيفية جديدة (معالج بالقرآن) ويكون للمعالج مرتب شهري مثل أي موظف حكومي آخر.

٥) منع أي أحد كائناً من كان من علاج الناس بالقرآن إلا في تلك العيادات، وذلك بعد إجازته من اللجنة الشرعية واتباعه لمنهج الرقية الذي تقره اللجنة وذلك حتى لا يندس أهل الشعوذة والدجل.

٦) منع أي راق أجازته اللجنة من نهج أي أسلوب جديد في الرقية إلا بعد إجازة ذلك من اللجنة الشرعية.

٧) عدم قبول أي مريض للمعالجة في هذه العيادات دون أن يتم تقييمه طبياً. وبهذه الطريقة نستطيع توظيف إيمان الناس بالرقية الشرعية ـ وهو حق ـ في تشخيص عللهم الأخرى وعلاجهم وتوجيههم بطريقة صحيحة يجتمع فيها نفع الطب الحديث مع بركة العلاج بالقرآن.

٨) يجب عدم قصر هذه العيادات على العيادات النفسية، وإنما يجب تعميمها على جميع العيادات الطبية، وذلك لأنه لا يوجد نص في القرآن أو السنة يقصر نفع القرآن على الأمراض النفسية دون العضوية.

٩) يجب أن لا يقتصر دور المعالج على قراءة القرآن فقط، بل أيضاً تقديم التوجيهات للمرضى والتي تكون قد أعدتها اللجنة سالفة الذكر.

ولعل الناظر في واقع الناس اليوم يجد أن الخطر أكبر إذا بقي الحال على ما هو عليه حيث إن أي أحد يمكن أن يفتح باب بيته ويشخص ويعالج كيف يشاء دون إشراف أو توجيه. أما لو تم تنظيم العيادات فيصبح الراقي كالطبيب الذي يأتي إلى عيادته وكل شيء ضمن برنامج وإطار معين، ويمكن أن يكون أكثر من راق في عيادة واحدة. كما أنه يجب أن يسعى المنظمون إلى تعميق أثر القرآن في نفوس الناس واستغلال ذلك ليس فقط في عدم فتنتهم بالراقي وغنماً في تقوية عقائدهم وتصفيتها من الشوائب.

وأما القول بأن الصحابة لم يجعلوا دوراً للعلاج بالقرآن، فربما لأنه لم توجد الحاجة كما هو الحال اليوم. إضافة إلى ذلك فإنه ليس في هذا الأمر ابتداع وإنما هو تنظيم لأمر مشروع وقائم أصلاً هدفه نفع الناس وتسهيل أمورهم، والذي يمكن أن نقول عنه في أسوأ أحواله: أنه خير من الوضع القائم.

وأما القول باحتمال اعتقاد النسا بخصوصية قارىء معين مما يؤدي إلى طغيان مكانته وأهميته عند الناس على أهمية كلام الله فيمكن منع ذلك من خلال تقنين العلاج بالقرآن وتوعية الناس في ذلك وعدم تركهم يلجأون للعلاج دون إرشاد وتوجيه. وكذلك الأمر بالنسبة لاحتمال حدوث العجب عند القارىء فيمكن علاجه بنفس الطريقة علماً بأن العجب قد يعتري أي

متخصص يبدع في تخصصه ويرى آثار نجاحه. فهل من باب لسد الذرائع أن نمنع أي عمل ناجح خوفاً من العجب مع عدم وجود محذور شرعي واضح؟ وكذلك أيضاً بالنسبة للخوف من تظاهر المشعوذين بالعلاج بالقرآن فإن منع ممارسة العلاج بالقرآن خارج العيادات سالفة الذكر يمنه ـ إلى حد كبير ـ وقوع مثل هذا المحذور.

obeikandl.com